الإعجاز الأخلاقيّ في القرآن الكريم

د. محمد جواد اسكندرلو

جامعة المصطفى العالمية - قم

فحوى البحث

الإعجاز الأخلاقي في القرآن واحد من أبعاد القرآن، و قد كان العلامة المجلسي أوّل من أشار إليه، ثم تناوله العلامة الطباطبائي قدس سره فجعله بُعداً مستقلّاً من أبعاد إعجاز القرآن.

تتناول الدراسة الحديث عن الآيات التي وردت في الجانب الأخلاقي و انّه يمكن الادّعاء انّها تدل على اعجاز هذا الكتاب الإلهي. نتناول الإعجاز الأخلاقي في أربعة محاور:

١. مكانة الإعجاز الأخلاقي بين أبعاد الإعجاز.
٢. مواصفات إعجاز النظام الأخلاقي في القرآن.
٣. الأساليب المستعملة في النظام الأخلاقي في القرآن.
٤. التعريف بالقدوة الأخلاقية للعالم.

وقد تناول الباحث دراسة و تحليل المحاور الأربعة المذكورة. و من الطبيعي فإنّ نظرية الإعجاز الأخلاقي للقرآن تحتاج الى تحقيق أوسع.

المصطلحات الأساسية: القرآن، الإعجاز، الإعجاز الأخلاقى، النظام الأخلاقى، الإعجاز المضمونى، إعجاز النظام الأخلاقى في القرآن.

المقدمة:

إنّ أهمّ وجهٍ لإعجاز القرآن هو الإعجاز المضمونى. و يأتى إعجاز النظام الأخلاقى للقرآن فى هذه المقولة أيضاً. فالاعجاز فى النظام الأخلاقى للقرآن يُعدّ أهمّ وجه للإعجاز بعد الإعجاز المضموني الاعتقادي للقرآن.

يهدف كاتب المقالة إلى توضيح النظام الأخلاقى فى القرآن و دلالته على الإعجاز ليصل من مقام الثبوت إلى الإثبات. فالنصوص الأخلاقية للقرآن فى نفسها ضمن تأييدها للإعجاز المضمونى للقرآن تدل على الإعجاز الأخلاقى أيضاً. فالأخلاق فى القرآن هى نظام له بناؤه الكامل و الشامل. ففى النظام الأخلاقى فى القرآن عُرضت أساليب لإزالة جميع الرذائل الأخلاقية، و تمّ توضيح سبل توسعة و تطوير الفضائل الأخلاقية فى جميع أبعادها: الفردية و الاجتماعية و السياسية و القانونية و الاقتصادية و العسكرية، و الوصول إلى مكارم الأخلاق.

و بحسب قول الامام الصادق عليه السلام فإن جميع المعضلات الأخلاقية للمجتمعات البشرية تقبل الحلّ و الإصلاح عن طريق القرآن. فالتعليمات الأخلاقية القرآنية شفّافة و صريحة و واضحة، و هى بعيدة عن الإبهام و الغموض كما فى كتابات بعض العلماء و أصحاب الأقلام. فالمخاطب فى النظام الأخلاقى فى القرآن هم جميع طبقات المجتمع و بمختلف مستوياتهم.

لقد بيّن القرآن أكمل النماذج الأخلاقية، و مدح الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله بأنّه صاحب الخلق العظيم و اعتبره اسوة حسنة. و لا ريب أنّ النظام الأخلاقى للقرآن نظام محكم و جامع و شفاف و صريح و قابل للتوسع و التطبيق، و يمكن فهمه لجميع الناس حيث يعرض أفضل الطرق للمجتمع البشرى فى جميع الأبعاد و الجوانب، و هذا بحدّ

ذاته شاهد على إعجاز القرآن، فى حين انّ سائر النظم الاخلاقية الأُخرى غير القرآنية تواجه الافول.

يتناول البحث فى المقـــام زوايا مختلفة فى مجال الإعجاز الأخلاقى فى القرآن.

سوابق البحث:

لم يُكتب بشأن الإعجاز الأخلاقى فى القرآن كتاب أو رسالة مستقلة أو بحث موسّع لحد الآن، نعم اعتبر العلامة المجلسى فى بحارالأنوار اشتمال القرآن على مكارم الأخلاق وجهاً مستقلاً فى إعجاز القرآن[1].

و اعتبر العلامة البلاغى (صاحب تفسير آلاء الرحمن فى تفسير القرآن) الإعجاز الأخلاقى إلى جانب الوجوه الاخـرى واحـداً مـن أبـعـاد الإعـجـاز القرآنى، و ذكر أنّ القرآن -و من بين ظـلـمات الجاهلية -جـاء فـى إجمالـه و تفصيله مستقصياً للأخـــلاق الفاضلة على حدودهـــا، بالحثّ على التزيّن بها بما توجبه الحكمة من البعث و الترغيب، و محصياً للأخلاق الرذيلة بالزجر عن التلوث بها. فها هو القرآن يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٠] ولكننا إذا ألقينا نظرة الى التوراة الرائجة فنرى فيها الأمر لبنى‌اسرائيل بالحكم بالعدل لقريبهم و النهى عن الحقد على أبناء شعبهم، و عن السعى بالوشاية و عن شهادة الزور على قريبهم و أن يغدر أحدهم بصاحبه، كلّ هذا خصّصته ببنى‌اسرائيل فجوّزته على غيرهم من البشر[2].

و بهذا فان بُعد الاعجاز القرآنى من ابتكارات العلامة البلاغى حيث يعتقد بان القرآن لا يمكن قياسه بالكتب الاخرى.

البحث و الأسئلة المهمة فيه:

مـن جملة البحوث فى مجال العلوم و المعارف القرآنيـــة و التى جرى فيها البحث منذ القديم و إلى الآن هو بحث

(١) بحارالأنوار ج ١٧، ص ٢٢٦.

(٢) تفسير آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ج ١، ص ١٥.

إعجاز القرآن الكريم. و بنظرة عامة فإن إعجاز القرآن يمكن عرضه فى ثلاثة عناوين:

١. **الإعجاز الصوري مثل**: الاعجاز اللفظى، و البيانى، و البلاغى و كذلك الاعجاز فى نظم القرآن و غير ذلك.
٢. **الاعجاز المضمونى مثل**: الاعجاز فى العلوم الطبيعية، الاعجاز الاعتقادى، الاعجاز الأخلاقى، الاعجاز التشريعى.
٣. **الاعجاز التركيبى أو دور إعجاز التركيب، مثل**: الاعجاز العددى، الثقافى، الاقتصادى و غيره.

و من بين ذلك فإن الاعجاز المضمونى هو أهمّ نوع من الإعجاز و الذى قلّما تناوله العلماء و المحققون بالبحث و التحقيق. و الذى ورد بهذا الشأن فى التفاسير لم يكن يُكتب بشكل نظام واضح مستقل. فيما تصدّى الأوائل غالباً للاعجاز الأدبى و البلاغى و نظم القرآن و لم يتطرقوا إلى بحث الإعجاز المضمونى إلا قليلاً. و من المتأخرين تطرق الفيض الكاشانى (المتوفى ١٠٩١ هـ) بشكل مقتضب و عرضى فى «علم اليقين» و مقدمة تفسيره «الصافى» و فى مطاويه لهذا الأمر المهم. و من المعاصرين أيضاً الامام الخمينى (المتوفى ١٣٦٨ هـ. ش). و قد طرح آية الله معرفت و الدكتور الايازى هذا البحث. و كذلك فإنّ مَن يتبنّى عقيدة التفكيك أيضاً اعتبر أصل إعجاز القرآن فى مضمونه و محتواه. ولكن مع كلّ هذا فإنّه لم يتم البحث بشكل مستقل فى المضمون الأخلاقى للقرآن. و حيث إنّ الغاية القصوى للقرآن هي الوصول إلى الكمال فإنّ معرفة وجه الاعجاز الأخلاقى للقرآن أمر ضرورى جدّاً. و كاتب المقالة -ضمن تقدّمه خطوات جديدة فى هذا المجال -بصدد الاجابة عن الاسئلة الآتية:

١. ما هى مكانة الإعجاز الأخلاقى فى القرآن بين سائر وجوه الإعجاز؟.
٢. ما هى مواصفات إعجاز النظام الأخلاقى فى القرآن؟.
٣. ما هى الأساليب المستعملة فى

النظام الأخلاقی فی القرآن؟.

٤. ما هی القدوة الأخلاقية للعالم فی نظر القرآن الكريم؟.

توضيح المفاهيم العامة:

الإعجـاز فی اللغة: ذكروا للاعجاز معانی كثيرة أهمها: الفوت، العجز، عدم القدرة[٣].

و قـال البعض من المتخصصين ان المعنی الأصلی للعجز هو التأخّر عن الشیء، و حصوله عند عَجُزِ الأمر، أی مؤخره... و صـار فی التعارف إسماً للقصور عن فعل الشیء، و هو ضد القدرة[٤].

و أمـا فی الاصطلاح فالاعجاز هو العمـل الذی يعرضه الأنبياء من قبل الله تعالی بحيث يكـون خارقاً للعادة و يعجز الآخـرون عن الإتيان بمثله ليكون دليلاً علی صدق ادّعائهم للنبوة[٥].

الأخلاق: جمع خُلق علی وزن قُفل و عُنُق، و فی اللغة بمعنی: السعادة، و الطبع، و المروءة، و الدين، و السجيّة[٦].

و الاخلاق فی اصطلاح أهل الفن يطلق علی شيئين:

الأول:

أ. الأخـلاق مجموعة من الطبائع و الصفات الحسنة كالعدالة و التواضع و التوكـل علی الله، و الحلم، و حسن الظن، و طلب الخير للنـاس، الصدق، الامانة، الرضـا برضا الله، حسن الخلق، القضاعة، صلة الرحم، الشجاعة و الانصاف.

ب. الطبائـع و الصفات السيئة كالتكبر، و الغرور، و العجـب، و الظلم، عدم الاعتماد علی الله، الجزع، سوء الظن، طلب الشر للناس، الحسد، الكذب، الخـوف، الاسراف، التبذير، الحقد،

(٣) القريشی، قـاموس القـرآن ج ٤، ص ٢٩٣، مجمع البحرين ج ٢، ص ١١٦٧، الفـراهيـدی، كتـاب العـين ج ٢، ص ١١٤٣.

(٤) الراغب الاصفهانی، مفردات الفاظ القرآن ص ٥٤٧.

(٥) الخوئی، البيان ج ١، ص ٣٣، مجمع البحرين ج ٢، ص ١١٦٨.

(٦) الراغب الاصفهانی، مفردات الفاظ القرآن ص ٢٩٧؛ القريشی، قاموس القرآن ج ٢، ص ٢٩٣.

عقوق الوالدين، تتبع عيوب الناس، النميمة، التملق، البخل، الرياء، عدم الغيرة، الجحد، الخيانة، الغضب، الحرص، الطمع[٧].

الثاني: الأخلاق علم يتناول بيان الطبائع و الصفات السيئة و الحسنة عند الانسان و سبل وصول النفس الى الطبائع و الصفات الحسنة تزكية النفس من الطبائع و الصفات السيئة[٨].

مكانة إعجاز النظام الأخلاقي في القرآن:

إنّ أفضل مكانة فى بحث الإعجاز إنما هى للإعجاز المضمونى، و ذلك لأنّ جوهر إعجاز القرآن الكريم ليس فى ألفاظه و صوره و إنما فى ذاته و محتواه و مضمونه، و أما الصورة و الألفاظ فقيمتها بالعرض و المرتبة الثانية[٩].

و من بين البحوث المضمونية المطروحة فى القرآن تأتى العقائد أولاً ثم النظام الأخلاقى الحاكم على القرآن، و بعده تأتى الأحكام فى المرتبة الثالثة. و من هنا فإنّ الاخلاق الصحيحة و الكاملة عندما تكون على أساس الإيمان و الاعتقاد الصحيح، فإنّ اساس الاعجاز المضمونى يكون فى العقائد ثم الأخلاقيات. لقد اعتبرالله تعالى التزكية على رأس أهداف الرسل، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الجمعة: ٢] ففى البداية ذُكر إبلاغ الرسالة و الاعتقادات الصحيحة ثم جاءت التزكية و تهذيب النفس بمراحلها المختلفة، و اللافت للنظر أنها ذُكرت قبل التعليم، و ذلك لانه بناء على قول أميرالمؤمنين عليه السلام فإنّه إذا كان الفضل للعلم فان ابليس افضل من الجميع. و فى آيات اخرى ذُكرت التزكية باعتبارها من أهداف الأنبياء بعد الاشارة الى الآيات الالهية و تعلّم تعليمات الكتاب

(٧) مركز فرهنگ و معارف قرآن، دائرة المعارف قرآن ج ٢، ص ٣٥٨؛ الامينى همه بايد بدانند ص ١٥١ (برنامه گنجينه معارف).
(٨) النراقى، معراج السعادة ص ٣٢، ٣٣، مركز فرهنگ و معارف قرآن، دائرة المعارف قرآن كريم ج ٢، ص ٣٦٠.
(٩) ايازى، سيد محمدعلى، تقريرات درس اعجاز قرآن (نقلاً عن موقع تبيان).

الإلهی[10]. و هذا يُعتبر مِنّة من الله تعالى على أهل الإيمان، و ذلك لأنهم كانوا قبل ذلك فی ضلال و جاهلية[11].

و الأمر الآخر هو أنّ الأخلاق مقدمة على الشريعة ولها الأولوية، و ذلك لأن الأحكام بحدّ ذاتها لاموضوعية لها بل هی طريق، و قد ذكرنا آنفاً أنّ هدف الرسالة بناء الذات و ايصال النفوس الى مكارم الأخلاق، و على رأس الهرم فی رسالة الأنبياء -و يمكن أن يكون الأهم-هو بناء الذات و إيصالها الى مكارم الأخلاق. قال رسول الله ﷺ: «إنی بعثتُ لأُتمّم مكارم الاخلاق»[12].

و فی الحقيقة فإن الشريعة هی ظاهرالدين، و عن طريق العمل بها يُختبر إيمان الانسان و تعلّقه بالدين و أولياء الدين، و من ثم سيدرك الانسان الأخلاقيات. و على سبيل المثال فهناك ١٢٠٠٠ مسألة فی باب الأحكام المتعلقة بالصلاة تناولت جميع تفاصيلها ولكن الهدف من جميع هذه المسائل هو أنّها مقدمة لإقامة الصلاة و من ثمّ ابتعاده عن الفحشاء و المنكر، و أخيراً الوصول إلى القرب الإلهی. و من ناحية اخرى فإن هذه المسائل هی بعض لوازم إقامة الصلاة فی حين أنّ هناك لوازم أُخرى كثيرة لها جذور فی الأخلاقيات و الاعتقادات حتى يمكن للانسان أن يقيم الصلاة الحقيقية. و المثال الآخر فی باب الصوم ففيه أحكام كثيرة جداً، الّا أنّ الله تعالى فی بيان هذه الفريضة ذكر أنّها فُرضت على الامة الإسلامية -كما كانت مفروضة على الامم السابقة -لعلّ أبناء الامة يتجهون نحو التقوى[13]. و هذا يعنی ان الصوم نفسه -فضلاً عن جزئياته -إنما هو وسيلة و مقدمة لحصول التقوى.

و لا يفوتنا أن نذكر أنّ وجه إعجاز القرآن الكريم يشمل جميع الموارد المذكورة الّا أنّ كلّاً منها له مرتبة خاصة به.

مواصفات إعجاز النظام الأخلاقی

(١٠) [سورة البقرة: ١٢٩].
(١١) [سورة آل عمران: ١٦٤].
(١٢) المجلسی، محمدباقر، بحارالانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة ج ٦٧، ص ٣٧٢.
(١٣) [سورة البقرة: ١٨٢].

فى القرآن: لقد بيّن القرآن الكريم جميع النكات و التعليمات الأخلاقية بشكل نظام كامل. فمن جانب بيّنَ الأخلاقيات الفردية، الأُسرية، الاجتماعية، السياسية و غيرها، و من جانب آخر بيّن جميع فروعها و شقوقها ضمن بيان جميع الحالات، و لهذا كانت هناك هيكلية متناسقة. و الجدير بالذكر ان هذه الهيكلية إذا كان فيها تنسيق مع بعضها و روعيت تمام جوانبها فإنها ستؤدى إلى حصول النتيجة و الثمرة. و فيما يلى نذكر مواصفات إعجاز النظام الأخلاقي:

١. إنه هادف:

من مواصفات النظام الاخلاقى للقرآن انه بيّن المقصود منه، و انّ جميع الرسل و الكتب انما جاءت لأجل هداية البشر[١٤]، و ان الاتيان بالبينات لاجل الهداية و تشخيص طريق الحق من الباطل ليتمكن أتباع الحق من سلوك طريق الحق بوضوح[١٥]. و علاوة على ذلك اعتبر انّ الهداية الحقيقية لله تعالى فقط و حتى انّ الرسول ﷺ لا يستطيع أن يهدى من يريد[١٦]. و بالطبع فهذا لايعنى عدم وجود أثر لإرادة الإنسان، بل ان مشيئة الله و إرادة الإنسان فى طول بعضهما، فالذى يهيئ نفسه يكون قابلاً للهداية و اما من لا قابلية و لا استعداد له فإنه يكون من الضالين و يعتبره القرآن من الخاسرين[١٧].

لقد بيّن القرآن الكريم مراراً طرق صيانة الإنسان من الضلال فى مواضع مختلفة. و على سبيل المثال: عدم اتّباع أولئك الذين ضلّوا و أضلوا غيرهم[١٨]، و أنّ إرادة الله تعالى فى الهداية تفوق فى الواقع جميع الإرادات الأخرى[١٩]. و فى النهاية يبيّن الله تعالى ان فائدة و ضرر الهداية و الضلال إنما تعود للمهتدين و الضالين، و الله غنى عن كل هذا، بل حتى انّ الرسول ﷺ لن يكون وكيلاً عن الله فى

(١٤) [سورة البقره: ٢].
(١٥) [سورة البقره: ١٨٥].
(١٦) [سورة القصص: ٥٦].
(١٧) [سورة الاسراء: ٩].
(١٨) [سورة المائده: ٧٧].
(١٩) [سورة النساء: ١١٣].

الهداية و الضلال[٢٠]. و حتى بنظر الإمام الخميني فإنّ توجهات السير و السلوك هى أهم وصف لتأويلات القرآن: «فهو من خلال طرح مباحث بيان المعرفة للعالم الكبير و الصغير يريد تبيين وجود الله تعالى و تجلياته للمخاطب. و يوضح موقع الانسان و لا سيما الإنسان الكامل و الدور الذى يمكن للانسان الكامل ان يقوم به فى التعريف بالله تعالى و اسمائه و صفاته، و يتحدث عن النفس و حالاتها و مقاماتها، و ذلك لأن معرفتها تؤدى إلى معرفة الحق: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، و معرفة النفس تعتمد على رفع الحجب و السير و السلوك و تهذيب النفس، ففى هذه المرحلة يكون المسير و الوصول الى المدارج و الاسباب و المقدمات ذات أهمية و يصير معلوماً لماذا فى هذه المدونات يكون تطبيق الذوقيات و تبيين النتائج العرفانية، و لماذا يسعى لتثبيت الاخلاقيات و ايجاد التأثير فى المخاطب. و بالطبع فإنه مراراً يذكر بأنّ هذه الحقائق قد حصل عليها علماؤنا من خلال التفكير و التأمل فى الآيات. و تأويلنا يُخبر عن تلك النتائج، و لطائف و اشارات مع اننا نحصل عليها من ظاهر اللفظ. ولكن هذا لايعنى ان جميع الحقائق تُستفاد من ثنايا الظاهر. فإذا استطاع البعض بيان المصاديق فى قالب توسعة المعانى و استفاد شيئاً من لوازم الكلام و لم يكتف بالظاهر و توجه نحو شرح المقاصد فلا ينبغى الانكار عليه[٢١]»[٢٢].

٢. الشمولية:

القرآن الكريم بحدّ ذاته شامل و جامع لما يحتاج اليه البشر، و لم يترك من ذلك شيئاً[٢٣]. فقد ورد فى القرآن بيان كل شىء، و القرآن سبب الهداية و الرحمة و البشرى[٢٤]، و لا عوج و لا انحراف فيه[٢٥]، و الشاهد على ذلك انه لم يوجد

(٢٠) [سورة الزمر: ٤١]؛ [سورة النمل: ٩٢].

(٢١) خمينى سيد روح الله، تفسير سورة الحمد ١٣٦ -١٣٧.

(٢٢) ايازى، سيد محمدعلى، تفسير القرآن المجيد برگرفته از آثار امام ٥٨٢.

(٢٣) [سورة الانعام: ٣٨].

(٢٤) [سورة النحل: ٨٩].

(٢٥) [سورة الكهف: ١].

فيه اختلاف و تباين.

يقول الدكتور أيازى فى بيان جامع بهذا الشأن: «الشمولية تعنى وجود مجموعة من التعليمات و الأوامر بمثابة أجوبة لحاجات الإنسان فى طريق تحقيق السعادة فى كل زمان و مكان، بحيث لو لم تكن هذه الأوامر و الارشادات موجودة لما وصل الإنسان إلى التكامل. فالبشر فى حياته يواجه نقائص و ثغرات كثيرة لا يستطيع العقل لوحده أن يملأها، ولو أنّه أدركها فإنّ إدراكه لها لا يكفى لأخذه نحو طريق الخير و السعادة، بل لابد من قناة اخرى تجعله مدركاً للأُمور الغيبية كعالم الموت و الآخرة و عالم الغيب و امثالها. ففى القرآن مطالب كثيرة حول إقامة القسط[٢٦]، إصلاح المجتمع[٢٧]؛ عبادة الله و اجتناب عبادة الأصنام و الأُمور الخيالية و الخرافية[٢٨]، الصلح و التعايش السلمى[٢٩]، تأسيس الحكومة الإلهية[٣٠]؛ مواجهة الحكومات الجائرة و تأسيس الحكم العادل[٣١] و غيرها من الأُمور التى رغم إدراك العقل لها، إلّا أنّ ورودها من ناحية الشرع إنما هو للترغيب و الالتزام الدينى و منح المعنويات للناس، و هى تساعدهم على أن تكون الامور شفافة واضحة، و تخرجهم من حالة الحيرة و الشك و التردد.

و بناء على هذا فإنّ من يعتقد بضرورة الرجوع إلى القرآن و العمل به و تفعيله فى ميدان الحياة عليه ان يؤمن بأنّ هذا الكتاب الإلهى يحوى الاجابات الكافية لحاجات الانسان انسياقاً مع أداء الوظائف الدينية. و بالطبع فإنه لامنافاة أن تكون التعاليم الاجتماعية و السياسية أساساً إنما هى لبناء الانسان و التوجه نعم المعنويات و سلوك طريقها، و بالتالى زيادة المعرفة بالله تعالى ولقائه، و هذا المعنى أيضاً يعنى الشمولية، فهو من جانب يتناول الامور المادية و الحاجات الطبيعية للبشر و سبل استقرار الأمن و

(٢٦) [سورة الحديد: ٢٥].
(٢٧) [سورة هود: ٨٨].
(٢٨) [سورة النحل: ٣٦].
(٢٩) [سورة النساء: ٨٩].
(٣٠) [سورة النساء: ١٠٦].
(٣١) [سورة النساء: ٢٥٨].

العداله و الحرية، و من ناحية اخرى يهتم بالمعنويات و تهذيب الاخلاق و السير و السلوك نحو عالم أعظم و أسمى.

يقول الامام الخمينى بهذا الصدد: «ان اتصال المعنويات بالماديات، و انعكاس المعنويات فى جميع جهات المادية انما هى من خصائص القرآن التى أفاضها على الناس. ففى الوقت الذى يكون فيه القرآن كتاباً معنوياً و عرفانياً فإنه فى الوقت ذاته يهذّب الاخلاق و يقوم بالاستدلال، و يتصدّى للحكم و يوصى بالوحدة كما يوصى كذلك بالقتال. و هذا من خصائص هذا الكتاب السماوى فهو يفتح باب المعرفة -بحدود قابلية الانسان -و كذلك باب الماديات، و اتصال الماديات بالمعنويات، و كذلك باب الحكم و باب الخلافة و جميع الامور. و علينا -نحن اتباع الاسلام و القرآن -ان نأخذ بنظر الاعتبار جميع أبعاد هذا الكتاب[٣٢]»[٣٣].

(٣٢) صحيفه امام ج ١٧، ص ٤٣٤.
(٣٣) ايازى، سيد محمدعلى، تفسير القرآن المجيد (آثار الامام الخمينى) ص ١٠٥-١٠٦.

و إذا قمنا بدراسة مقارنة بين القرآن الكريم و الكتب المقدسة الاخرى (العهد الجديد و القديم) فإننا سنلاحظ بوضوح مزيّة القرآن فى لحاظه للأبعاد المختلفة الفردية و الاجتماعية، الإقتصادية و السياسية و الأخلاقية. فقد نظر الإنجيل إلى الأُمور من بُعد واحد فى حين أنّ القرآن بيّن الأُمور من أصغرها و أقلّها قيمة حتى اكبرها و اكثرها قيمة. و فى النظام الأخلاقى فى القرآن تحكم هذه القاعدة أيضاً، فقد تمّ بيان الأخلاق الفردية و الأُسرية، و الاجتماعية، و السياسية و الإدراية و الحكومية.

و النقطة الأُخرى هى أنّ تعاليم موسى عليه السلام لها توجّه دنيوى عادةً، و تعاليم عيسى لها توجّه أُخروى، ولكن الله تعالى جعل الاسلام أُمّةً وسطاً، و لهذا فإن التعاليم الإسلامية -و لا سيما القضايا الأخلاقية -تتصف بالاعتدال، فهى ضمن التوجه نحو الدنيا تهتم بالآخرة من دون أى إهمال أو نقص.

لقد تناول القرآن الكريم أصغر الأُمور الاخلاقية مثل: كيفية المشى:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ (٣٤) [سورة الاسراء: ٣٧] حتى أعظم الامور مثل: هدف بعثة الأنبياء و اقامة القسط و العدل و إقامة الحكم الاسلامى بين الناس(٣٥). و هذه الأيات تتعلق بنظام الأخلاق الاجتماعى فى القرآن.

٣. الشفافية و الصراحة فى بيان القضايا الاخلاقية:

القرآن كتاب الوحى السماوى، و من خصائصه أنّه مبيّن و موضّح لحكم الله، و الحق من الباطل(٣٦). و القرآن كتاب منير(٣٧)، و هذه الخصوصية واضحة فى آياته(٣٨).

و يتصف النظام الاخلاقى الحاكم فى القرآن أيضاً بهذه الشفافية على مراتب؛ سواء فى المواضع التى يبيّن فيها القضايا الاخلاقية، من قبيل: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[سورة الكهف: ١١٠]، أو فى بيان عاقبة و مصير المنحطّين فى الاخلاق و الاعتقاد: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الاعراف: ١٤٧] و ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [سورة الروم: ١٦].

٤. التوسع:

المقصود ان القضايا الأخلاقية فى القرآن قابلة للتوسع فى المجالات المختلفة. فعلى سبيل المثال عندما يتحدث القرآن عن العدالة فإنه بحث ذلك فى جميع أبعادها بحسب المواقع المختلفة: العدالة الأُسرية، العدالة فى العلاقات الزوجية، العدالة فى القول، العدالة فى التحكيم و الحكم، العدالة فى الشهادة، العدالة فى الابعاد الاجتماعية المختلفة، العدالة فى المعاملات، العدالة

(٣٤) [سورة لقمان: ١٨].
(٣٥) [سورة البقرة: ٢١٣]، [سورة النساء: ١٠٥].
(٣٦) [سورة الزخرف: ٢]، [سورة الدخان: ٢]، [سورة النحل: ١].
(٣٧) [سورة آل‌عمران: ١٨٤].
(٣٨) [سورة الشعراء: ٢]، [سورة القصص: ٢].

فی الاصلاح بین المؤمنین، بل حتی ان القرآن ذکر انّ أحد أهداف الأنبیاء هو إقامة القسط و العدل.

و طبقاً لآیات القرآن الکریم فان القول یجب أن یکون علی جهة العدل حتی لو کان الطرف المقابل من الأقارب: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [سورة الانعام: ١٥٢].

و من مواضع العدالة فی القول عندما یکون الانسان فی معرض الشهادة التی یجب ان تکون هذه الشهادة -لأجل رضا الله تعالی الله -بالحق و العدل، ولو کانت الشهادة بضرره أو ضرر والدیه أو أحد أرحامه ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة النساء: ١٣٥]. و ینبغی أن لا یمنع الحقدُ و سوءُ الظن و الحساباتُ الشخصیة الانسانَ عن العدل فی الشهادة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: ٨] و حتی انّ الشارع اشترط فی الشهادة حضور شخصین عادلین(٣٩).

لقد أُبیح فی القرآن الزواج بأربع نسوة زواجاً دائماً فی وقت واحد، الّا انّ ذلك یکون جائزاً عندما تجری العدالة بینهن، و إن لم یُعدل بینهن فإنّ الواحدة تکفی: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [سورة النساء: ٣]. و قد اعتبر القرآن الکریم أیّ میل و رغبة فی اتخاذهن جمیعاً من دون العدالة بینهن مانعاً من ذلك: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ [سورة النساء: ١٢٩].

و النموذج الآخر للعدالة فی القول هو العدالة فی القضاء و الحکم الذی قد یؤدی بالانسان الی الضلال. لقد خاطب الله تعالی داود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص: ٢٦]. و فی الحقیقة فإن الله تعالی أوجب علی الجمیع الحکم بالعدل: ﴿وَإِذَا

(٣٩) [سورة الطلاق: ٢].

حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [سورة النساء: ٥٨].

و الوجه الآخر للعدالة هو فى الاصلاح بين طائفتين من المؤمنين: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾[سورة الحجرات: ٩].

و الوجه الآخر للعدالة فى كتابة المعاملات. لقد أمر الله تعالى فى آية الدَّين-أطول آية فى القرآن -أن يُكتب الدَّين حتماً و أن يراعى الكاتب العدالة حتماً ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ ﴾[سورة البقرة: ٢٨٢]. و قال فى موضع آخر: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾[سورة الانعام: ١٥٢].

و لا يفوتنا أن نذكر انّ القرآن الكريم عبّر عن العدالة الاجتماعية بالقسط، و عمّن يطبّقها بالمقسط، و عبّر عمّن يمتنع عن ذلك بالقاسط: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[سورة الجن: ١٥]. و لهذا أُطلق على معاوية و أتباعه «القاسطين» حيث حاربوا علياً الذى كان يقوم بتطبيق العدالة الاجتماعية.

و اعتبر الله تعالى أنبياءه قائمين بالعدل و القسط فى المجتمع: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة يونس: ٤٧] ليقوم الناس بإعداد الأرضية لإقامة القسط: ﴿ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[سورة الحديد: ٢٥]. و كذلك فإنّ رسول الله ﷺ مأمور بإقرار العدل و القسط: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [سورة الشورى: ١٥]؛ ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ﴾[سورة الاعراف: ٢٩]. إذن فالله تعالى أمر فى القرآن الكريم بإقامة العدل حيث أمر به فى مجال الاخلاق الاجتماعية، و هذا الأمر قابل للتوسيع فى جميع المجالات: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾[سورة النحل: ٩٠].

٥. إمكان التطبيق:

إنّ أخلاقيات القرآن قابلة للتطبيق لجميع البشر، ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّ الاخلاقيات فى القرآن ذات مراتب، و هى كطيف الشمس يأخذ كلّ انسان بقدر ما يمكنه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[سورة البقرة: ٢٨٦]. و

من ناحية اخرى فإذا رغب الشخص و أراد تطبيق تلك الأخلاقيات فإنها قابلة للتطبيق، و من البعيد عقلاً أنّ الله يطلب شيئاً من عباده لا يمكنهم أداؤه ولكن على العباد تهيئة جميع أسباب ذلك.

٦. ابتناؤه على الفطرة:

للإنسان فطرة خاصة به تهديه نحو سنّة خاصة فى الحياة و طريق معين ينتهى إلى هدف و غاية مشخصة[٤٠]. و الانسان يُرجع كلّ شيء إلى فطرته، و ذلك لأن الانسان مخمّر بهذه الفطرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سورة الروم: ٣٠].

لقد كانت مساعى جميع المربّين الإلهيين تنصبّ فى أن يُسيِّروا الناس نحو حقيقة الوجود كما قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «فبعث فيهم رسله و أرسل إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكروهم منسىّ نعمته، و يحتجوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول، و يروهم آيات المقدرة»[٤١].

و كما ذكرنا آنفاً فإن القضايا الأخلاقية فى القرآن كلها لها جذور فى فطرة الانسان بدءاً من أوضح القضايا و هى الحسن و القبح الذاتيان حتى القضايا التى تضمها الأخلاق الاجتماعية. فالفطرة الانسانية تتطلب احترام حقوق الكبار، و الوالدين، و حق الناس. و الطبيعة الإنسانية تؤيّد العدالة و الاعتدال و الرحمة و المحبة و مقاومة الظلم و السعى و التواضع. نعم فطبيعة و ذات و أصل الانسان تميل نحو جميع الفضائل و المكارم الأخلاقية و تتألم و تتبرّأ من جميع الرذائل الأخلاقية. و حتى انّ مسألة القصاص التى اعتبرها القرآن سبباً لحياة المجتمع فقد اعتبرت عاملاً للمنع و مانعاً من القتل و سلب الأمن من المجتمع.

٧. قدرة المخاطبين على الفهم:

و من خصائص القرآن البارزة قابليته للفهم من قبل جميع المخاطبين بمستويات

(٤٠) الطباطبائى، الميزان فى تفسير القرآن ج ١٦، ص ١٧٨ -١٧٩.

(٤١) السيد الرضى، نهج البلاغة، الخطبه ١.

و إدراكات مختلفة: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [سورة القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]، و ذلك لأنّ الهدف هو أن يقبل الانسان الموعظة و النصيحة و أن يصل إلى الكمال و ان يعرف وظيفته و تكليفه النهائي: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الدخان: ٥٨]، فالقرآن الكريم بصدد أن يُبعد جميع الناس عن الرذائل الأخلاقيةو يزيّنهم بالفضائل و مكارم الأخلاق و أن يأخذهم إلى لقاء الله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾.

٨. **عرض الحلول للمشاكل الأخلاقية في المجتمع**: «لقد أحدث نزول القرآن منذ البداية تحوّلاً عميقاً بين أهل الحجاز، و كان له وقع عظيم في إصلاح أفكارهم و سلوكهم بحيث غيّرهم من أُناس جهلة متخلّفين و أُميّين و متعصبين إلى أُناس و اعين مُترقّين متعلمين و متسامحين و متساهلين. و تبدّلت قسوتهم و حبّهم للحرب و تعصبهم و حقدهم إلى الرحمة و السكينة و المنطق و العفو. و من العوامل المؤثرة و المهمة في تقدم الإسلام في محيط مظلم أسود و أقوام يحبون الحرب و الشدّة هي تعاليم القرآن. فقد أثرت في روحياتهم الآيات المحكمة المؤثرة في القلوب و أحدثت فيهم جذبة معنوية بحيث كانوا يخصّصون أفضل أوقاتهم للأُنس بالقرآن. و كانوا يقضون خلواتهم بقراءة القرآن، و كانوا يأنسون بالقرآن و يشعرون بلذة قراءته. فالقرآن يسوق مثل هؤلاء الأشخاص نحو المعنويات، و الاخلاق، و العفو، و التضحية بحيث إنهم عندما يقرأون القرآن يصيرون مستعدّين لكل عمل و التضحية بأرواحهم و انفسهم في سبيل الاسلام. و هذه الجذبة لا تختص بالمسلمين. فأحياناً تكون هذه الجذبة عند غيرالمسلمين فيتأثرون لجمال وروعة القرآن فيؤثر في سلوكهم و تصرفهم»[٤٢].

(٤٢) ايازى، سيد محمدعلى، قرآن أثرى جاويدان؛ گامى كوتاه در شناخت قرآن، ص ٤٥.

نعم، فمن أهمّ آثار النظام الأخلاقی فی البُعد الأخـــلاقی الاجتماعی هو إزالة الاختلافـــات، و قد عُدّ هذا من أهداف إنزال القرآن: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[سورة النحل: ٦٤]. و ليس هذا الّا الحق و هو دليل على كمال القـــرآن: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾ [سورة البقره: ١٧٦].

٩. عرض القدوة و النموذج الكامل:

مـن خصائص النـظام الأخـلاقی الكامل عرض القدوة الصحيحة و الذی يدل بذاته على أنّ القرآن ممكن التطبيق. انّ أكمل قدوة هو رسول الله ﷺ: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [سـورة الاحـزاب: ٢١] و هو يتصف بأكمل الأخـلاق الحسنة: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[سورة القلم: ٤].

و لعل البعض يطرح شبهةً مفادها أنّ ذلك كان خاصّاً برسول الله ﷺ، الا انه يجب القـول ان الأنبياء الآخرين و شيعتهم ايضاً كانوا هكذا. فقـد قال الله تعالى عن ابراهيم و قومه: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [سورة الممتحنة: ٤]، ثم يضيف قائلاً ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ ﴾ [سورة الممتحنة: ٦].

«انّ القـدوات الذين كانت الاخـلاق الإلهية عندهم ملكة فتزيّنوا بها كانت زينتهم فی ارتباطهم بالقرآن حيث كانوا يفتخرون بأنهم من اهل القرآن و كل ذلك فی ظل دولة القرآن. و لأجل فهم هـذه النكتة و هی انّ القرآن كيف أثّر فی الناس فإنه يجب علينا الرجوع إلى القرآن ذاته حيث يقول بشأن النبی ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [سـورة القلم: ٤]. و قـد وصفـت النبی ﷺ بأنه كان خلقه القـرآن[٤٣]، ذلك النبی الـذی يقـول بحقه الـقـرآن: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم

(٤٣) ورد عن ام سلمة و عائشة عندما سئلا عن خلق النبی ﷺ: «كان خلقه القرآن».

بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨] و هذا التعريف هو اساس جعله قدوة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الاحزاب: ٢١]»(٤٤).

١٠. التأثير فى المخاطبين:

طبقاً لشواهد التاريخ و الشواهد القرآنية و الدينية فإن للمتن المقدس للقرآن الكريم أكبر الأثر فى المخاطبين. و لبيان عظمة القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الحشر: ٢١]. بقى الكلام حول عامل التأثير، فهل هو الآيات العلمية، أو آيات الأحكام، أو قصص القرآن، أو الأمثال أو الأقسام، او المباحث الاجتماعية او العقائدية؟. و مع انّ لكل منها أثره ولكن ليس هناك أثر مثل مااللمتون الأخلاقية من ذلك. و هذا الأثر جعل الكفار و المشركين يقولون: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [سورة فصلت: ٢٦]. و قد ورد بهذا الشأن قصة الوليد بن المغيرة التى جرت على الألسن. «ان القرآن الكريم هو منبع القضايا الأخلاقية و أصل جميع حركات و نزعات السير و السلوك فى العرفان الاسلامى. و أساس هذه القضايا هو العشق الإلهى و الفناء فى سبيله. فقد أشار القرآن صراحة إلى محبة الله للناس و عشقهم له تعالى(٤٥). و من جانب آخر فإنّ أساس جميع حركات السير و السلوك هو عدم التعلق بالدنيا و رفض عبادة الدنيا، يقول القرآن فى تعبير جامع: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [سورة القصص: ٨٣]. و علينا أن لا ننسى انّ جميع البرامج العبادية كالصلاة و الصوم و الحج و الانفاق (الزكاة، الخمس، الصدقات) إنما هى لبناء الذات و تمرين باطنى لتقوية القوى العقلية، و لها أبعاد عملية و سلوكية ليتمكن الانسان فى

(٤٤) ايازى، سيد محمدعلى، قرآن اثرى جاويدان؛ گامى كوتاه در شناخت قرآن، ص ٤٦.

(٤٥) [سورة البقرة: ١٦٥].

ظل هذه السلوكيات من بناء ذاته و التكامل و السير فى الصراط المستقيم الإلهى، حيث إن القرآن ملىء بهذه الأوامر و الهدايات. و بمثل هذه النظرة الى البحوث الاخلاقية فإنّ دور بحوث القرآن فى ميل المجتمع نحو مسائل السير و السلوك و العرفان و الاخلاق و تهذيب النفس يتضح لنا جليّاً، كما يتضح تأثيرها العملى فى الأبعاد المختلفة و بدرجات مختلفة. و لأجل هذا فإننا لانشير إلى الصوفية و العرفاء الذين يعتبرون أهم مصدر لما عندهم هو القرآن، و إنما نشير إلى المدونات الأخلاقية و المعاجم و التفاسير الموضوعية التى تم تنظيمها بالاعتماد على المسائل الاخلاقية فى القرآن و استخرج منه موضوعات كثيرة فى مجال المسائل الاخلاقية، و بشكل عام صارت واحداً من المصادر المهمة للأخلاق و القيم المعنوية فى الثقافة الاسلامية»[٤٦].

و من ناحية اخرى «فالأصل الآخر الذى له أهمية كبيرة فى دراسة مكانة معرفة القرآن، و يجعل معرفة الجمال محوراً، هو التأثيرات المعنوية للقرآن. و قد أكد العرفاء المسلمون منذ القدم هذا الموضوع كثيراً، بحيث إن بعض المحققين فى القرآن تناول بشكل خاص التأثيرات المعنوية للقرآن. و على سبيل المثال فإنّ أبا إسحاق الثعلبى (المتوفى ٤٢٧) له كتاب بعنوان «القتلى فى القرآن» و هو يشير فيه الى البعض ممن حصل عنده -إثْر الأُنس بالقرآن -تغيّرٌ وانقلبت حياته تماماً. و قد أشار القرآن الى هذه الحالة فقال ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٣] و تشير هذه الآية الى قضية معرفة الجمال فى القرآن و تؤكد ان الله تعالى انزل أحسن الحديث، و لهذا فهى تذكر بالتأثير المعنوى و التحول نحو الأحسن. نعم، فالقرآن له قدرة التأثير فى المخاطب و ايجاد حالة الخشوع و الخضوع فى قلبه. و فى موضع آخر يُذكر

(٤٦) ايازى، سيد محمدعلى، قرآن اثرى جاويدان، گامى كوتاه در شناخت قرآن ص ٤٤.

جانب آخر من هذا الموضوع: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [سورة المائده: ٨٣]. و هذه الخصوصية قد ذكرت فى عصرنا الحاضر فى تحقيقات ميدانية فى استماع القرآن و تأثيره على القلوب و آثاره الروحية و النفسية حتى فى تقليل الآلام. و قد كتبت فى هذا المجال رسائل جامعية»[٤٧].

و فى مجال التأثيرات المعنوية للقرآن هناك حديث طويل، ولكن تكفى الاشارة الى تأثير القرآن فى الحجاز فى عصر نزول القرآن و كيف أحدث تحوّلاً عميقاً فى الناس، فى إصلاح أفكارهم و سلوكهم بحيث تحوّل هؤلاء الجهلة المتأخرون الاميون المتعصبون و المحبون للحرب و للقتال و الحاقدون إلى أُناسٍ ليّنين و هادئين، فقد ساقهم القرآن نحو المعنويات و الاخلاق و العفو و التضحية بحيث انّ المسلم إذا قرأ القرآن فإنه يصير مستعداً لفعل أى عمل يُطلب منه، و يضحّى بروحه و ماله». [٤٨]

١١. فيه كلام جديد:

يكفى فى إبداع و خلّاقيت النظام الأخلاقى فى القرآن أنّه أزال الأنظمة الأخلاقية السابقة، و قاد عرب الجاهلية من الضلال نحو النور و الفضائل: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة الجمعة: ٢]. فالنظام الأخلاقى الحاكم على القرآن فعّال ولكنه يجب استنطاقه، فتُعرض عليه المعضلات الأخلاقية و يُطلب منه الحلول.

أساليب النظام الأخلاقي في القرآن

١. الموعظة:

الوعظ: زجر مقترن بتخويف[٤٩]، و قيل: هو التذكير بالخير فيما يرق له

(٤٧) على سبيل المثال راجع: بررسى ميزان تأثير آواى قرآن كريم بر كاهش درد بيماران (دراسة مقدار تأثير صوت القرآن الكريم فى تقليل آلام المرضى)، نيكبخت نصيرآبادى، دانشگاه ترتيبت مدرس (چكيده پايان‌نامه هاى علوم قرآن، ص ٣٠) مجله بينات العدد ١١، ص ٣٤.

(٤٨) راجع: ايازى، قرآن اثرى جاويدان، ص ٤٦. و كذلك كتاب القتلى فى القرآن للثعلبى.

(٤٩) الراغب الاصفهانى، المفردات، ص ٥٢٧.

القلب[٥٠]. و كذلك قيل: تذكير الانسان بما يرقّ له من الثواب و العقاب[٥١]. و بالطبع فالإنسان يتأثر بالموعظة فيمتنع من السيئات و يميل إلى الحسنات. و عليه فإن الموعظة، تليّن و ترقق القلب و تحرك العواطف و تؤدى إلى ترك الانسان للانحراف و القبائح و تعلّقه بالاستقامة و الحسنات. و الموعظة تجعل فى الإنسان حالة الامتناع عن السيئات و التمسك بالحسنات، و تزيل من القلب مقاومته للحق و للعمل بالحق و تجعل فيه التسليم للحق و العمل به[٥٢]. و ورد فى كلمات اميرالمؤمنين عليه السلام قوله: «الوعظ النافع ماردع»[٥٣].

من أساليب الدعوة الى الله هو النصيحة و الوعظ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [سورة الاسراء: ٤١]، ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة ابراهيم: ٢٥].

٢. ضرب الأمثال:

يحتاج المخاطب أحياناً لإدراك الامور المعقولة إلى عرض مثال، كما هو الحال فى الأمثال التى ضُربت فى القرآن لأجل ذكرالله تعالى فى القلب: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٢٧]. ولكن لا يستفيد من هذه الامثال الّا المؤمنون و أما الكافرون فلا ينصاعون لذلك: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [سورة الاسراء: ٨٩].

٣. البشارة و الانذار:

التشجيع هو التشويق و الترغيب، و التنبيه هو الايقاظ و التأديب[٥٤].

(٥٠) الفراهيدى، ابوعبدالرحمن الخليل بن احمد، العين ج ٣، ص ١٩٦٦.
(٥١) ابن منظور، لسان العرب ج ١٥، ص ٣٤٥.
(٥٢) دلشاد طهرانى، مصطفى، مشرب مهر، ص ١١١ - ١١٠.
(٥٣) شرح غررالحكم ج ١، ص ٣١٩.
(٥٤) انظر: لغتنامه دهخدا ج ١، ١٠٨٨، ١١٤٨.

و اسلوب التشجيع و التنبيه هو استعمال آداب لتحقيق هذا المعنى عند الإنسان، يعنى الآداب التى تدفع الانسان أو تزجره و تمنعه لأجل تفتّح استعدادات و قابليات الانسان نحو الكمال المطلق. قال أمير المؤمنين عليه السلام بشأن دور الثواب و العقاب الالهى فى تربية الانسان: «ان الله سبحانه وضع الثواب على طاعته، و العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نِقمته، وحياشة لهم الى جنته»[٥٥]. و رسل الله تعالى يأخذون بأيدى الناس بالبشارة و الانذار نحو الكمال كما هو شأن النبى الاكرم صلى الله عليه وآله. يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «ان الله جعل محمداً صلى الله عليه وآله عَلَماً للساعة، و مبشّراً بالجنة، و منذراً بالعقوبة»[٥٦]، «أمين وحيه، و خاتم رسله، و بشير رحمته، و نذير نقمته»[٥٧] «بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله شهيداً، و بشيراً و نذيراً»[٥٨]. إنّ عمل المربّى هو الدفع نحو الخير و التحذير و المنع عن الشر؛ و فى هذا المجال يجب التمييز بين المحسن و المسىء و الكفوء و غيره فى التعامل بما يتناسب مع حاله من التشجيع و الانذار. ففى تربية الانسان يكون الاصل هو التشجيع و الانذار، و ذلك لأن فى فطرة الانسان عشقاً للكمال المطلق و انزجاراً من النقص، و هو يميل للحسن و الكمال و محبّ للترغيب و الاحترام. و على هذا فأفضل اسلوب فى دفع الناس نحو الكمال و الابتعاد عن النقص، هو التشجيع و الاحترام و التقدير، و ليس المجازاة و العقوبة، و إنما تكون العقوبة و المجازاة عندما لا تُجدى الطرق الاخرى و ينحصر الطريق- من أجل إيقاظ الانسان و علاجه- بذلك. إن الأمل و البشارة للمؤمنين من الأساليب المهمة لأجل دفعه نحو التزيّن بالحسنات الاخلاقية: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الاسراء: ٩]. و هذا التبشير فى دنيا اليوم أيضاً أمر مقبول.

(٥٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٨.
(٥٦) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.
(٥٧) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣.
(٥٨) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٥.

٤. **حكاية القصص:**

إن الهدف من قصص القرآن هو إيقاظ الناس من الغفلة و الوصول بهم إلى الفوز و الفلاح: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٣]. ففى هذه الآية يخاطب الله تعالى نبيّه بأنّ حكاية قصص الأُمم السابقة إنما هو للابتعاد عن الغفلة.

التعريف بأفضل نموذج اخلاقي:

ذكرنا النموذج الاخلاقى فى الصفة التاسعة من مواصفات إعجاز النظام الأخلاقى، و نظراً لأهمية الموضوع نشير اليه هنا اختصاراً.

يعرّف الله تعالى فى بعض الآيات الأخلاقية فى القرآن قدوات للإنسان لا نظير لها. و فى مثل هذا النوع من الآيات فإنّ اسلوب القرآن هو أن سائر الناس يعتبرون بهذه القدوة و يعملون مثلها، يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الاحزاب: ٢١]. فالله تعالى يعرّف النبى ﷺ الذى هو أفضل موجود من بعده بأنه قدوة للآخرين. و ينبغى الالتفات الى ان مثل هذا التعريف بالقدوة لم يرد قبل القرآن و بعد القرآن فى التاريخ. و هذا بحدّ ذاته دليل على إعجاز القرآن فى مجال التعريف بالقدوة الأفضل فى مجال الأخلاق، و كذلك فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم: ٤].

إذاً فإنّ أفضل و أكمل قدوة للاتّباع فى جميع الشؤون الحياتية و لا سيما النظام الاخلاقى هو الذات المقدسة لرسول الله ﷺ.

النتائج:

١. من بين وجوه إعجاز القرآن الاعجاز المضمونى. و فى وجوه الاعجاز المضمونى فإنّ مضمون النظام الاخلاقى فى القرآن يأتى فى المرتبة الثانية بعد المضمون الاعتقادى.

٢. كان اهتمام العلماء بهذا الوجه من الاعجاز قليلاً و لم يُكتب بشكل نظام واضح و مستقل.

و من بين العلماء الذين ذكروا هذا

الوجه: العـــلامة المجلسى، العلامة البلاغى، و الفيض الكاشانى، و الإمـام الخمينى قدس سره .

٣. أفضل مكانة فى بحث الاعجاز إنما هى للإعجاز المضمونى، و ذلك لأن جوهرة إعجاز القرآن ليس اللفظ و الصورة و انما المحتوى و الذات. و يتصف الإعجاز الأخلاقى من بين أبعـــاد الإعجاز المضمونى بمكانة خاصة.

٤. مـن خـصـائـص إعـجـاز الـنـظـام الأخلاقى: إنه هـادف، الشمولية، الصراحة فى بيان القضايا الاخلاقية، التوسّع، إمكان التطبيق، ابتناؤه على الفطرة، قدرة المخاطبين على الفهم، عرض الحلول للمشاكل الأخلاقية فـى المـجـتـمـع، عـرض الـنـمـوذج الكامل، التأثير فى المخاطبين، فيه كلام جديد.

٥. مـن أسـالـيـب الـنـظـام الاخـلاقـى: الموعظة، ضرب الأمثال، البشارة و الإنذار، حكاية القصص.

٦. عرّف القرآن رسول الله صلى الله عليه وآله باعتباره القـدوة و الأُسـوة فى اتّبـاع النظام الأخلاقي في القرآن.

فهرس المصادر:

القرآن الكريم.

١. ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل، لـسـان الـعـرب، الطبعة الاولـى، بيروت: دار احياء التراث العربى، ١٤٠٥ هـ.

٢. ايـــازى، سيد محمد عـلـى، تفسير القرآن المجيد المأخوذ من آثار الامام الخمينى، الطبعة الاولـى، طهران، مؤسسة تنظيم و نشر آثـار الامـام الخمينى، مؤسسة چاپ و نشر عروج ١٣٨٤ هـ. ش.

٣. ايازى، سيد محمد على، قرآن أثرى جاويدان؛ گامى كوتاه در شناخت قـرآن، الطبعة الاولـى، رشـت، انـتـشـارات كـتـاب مـبـين، ١٣٨١ هـ.ش.

٤. ايازى، سيد محمد على، اصول و مبانى زيبايى شنـاس قرآن، پژوهش نامـه ى قرآن و حديث، العـدد الاول، خريف عام ١٣٨٥ هـ. ش

٥. البلاغی النجفی، محمد جواد (المتوفی ١٣٥٢ هـ)، آلاء الرحمن فی تفسیر القرآن، مؤسسة البعثة، قم، ١٤٢٠ هـ. الطبعة الاولی.
٦. الجوادی الآملی، التفسیر الموضوعی للقرآن الکریم، قرآن در قرآن، الطبعة الثانیة، قم، مرکز نشر اسراء، شتاء عام ١٣٧٨ هـ. ش.
٧. الحر العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعة الی تحصیل مسائل الشریعة، الطبعة الاولی، قم، مؤسسة آل البیت لإحیاء التراث، ١٤٠٩، هـ.
٨. دلشاد طهرانی، مصطفی، سیری در تربیت اسلامی، الطبعة الرابعة، طهران، ذکر، ١٣٨٠ هـ. ش
٩. دلشاد طهرانی، مصطفی، مشرب مهر، روش های تربیت در نهج، الطبعة الاولی، طهران، دریا، ١٣٧٩ هـ. ش.
١٠. دهخدا، علی اکبر، لغتنامه دهخدا، دانشگاه طهران، طهران، ١٣٧٧ هـ. ش، الطبعة الثانیة.
١١. الراغب الاصفهانی، حسین بن محمد، مفردات الفاظ القرآن، الطبعة الاولی، قم، مکتبة نشر الکتب، ١٤٠٤ هـ.
١٢. رضائی اصفهانی، محمدعلی، پژوهش در اعجاز علمی قرآن، انتشارات کتاب مبین، ١٣٨٢ هـ.ش.
١٣. رشید رضا، سید محمد، تفسیر المنار، بیروت، دارالمعرفة، ١٩٦٠م.
١٤. السید الرضی، ابو الحسن حسین بن محمد، نهج البلاغة، ترجمة جعفر شهیدی، الطبعه (٢١)، طهران، انتشارات علمی و فرهنگی، ١٣٨٠ هـ. ش.
١٥. الطریحی الرماحی، فخر الدین بن محمد علی (المتوفی ١٠٨٥ هـ)، مجمع البحرین و مطلع النیرین، مؤسسة بعثت، قم، ١٤١٥، الطبعة الاولی.
١٦. الطباطبائی، سید محمد حسین، المیزان فی تفسیر القرآن، ترجمة

السيد محمد باقر الموسوى الهمدانى، الطبعة (٢٢)، قم: سازمان تبليغات اسلامى التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزه العلمية بقم ١٣٨٦ هـ. ش.

١٧. الفراهيدى، الخليل بن احمد، كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدى المخزومى و الدكتور ابراهيم السامرائى، قم، مؤسسة دارالهجرة، الطبعة الاولى، ١٤٠٩ هـ.

١٨. القريشى، سيد على اكبر، قاموس القرآن، دار الكتاب الاسلامية، طهران، ١٣٧٢ هـ. ش، الطبعة السادسة.

١٩. المجلسى، محمد باقر، بحارالأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة عليهم السلام، بيروت، مؤسسة الوفاء ١٤٠٣ هـ

٢٠. معرفت، محمد هادى، علوم قرآنى، الطبعة التاسعة، قم، مؤسسة فرهنگى تمهيد، ١٣٨٧ هـ. ش.

٢١. معين، محمد، فرهنگ فارس، الطبعة الرابعة، طهران، اميركبير، ١٣٦٠ هـ. ش.

٢٢. الموسوى الخوئى، السيد ابوالقاسم (المتوفى ١٣٧١ هـ. ش)، البيان فى تفسير القرآن، انوار الهدى، قم، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م، الطبعة الثامنة.

٢٣. مركز فرهنگ و معارف قرآن، دائرة معارف القرآن الكريم، مؤسسة بوستان كتاب، قم، ١٣٨٥ هـ. ش، الطبعة الاولى.

٢٤. الموسوى الخمينى، السيد روح الله، صحيفه نور، وزارت ارشاد اسلامى، ١٣٧١ هـ. ش.

٢٥. النراقى، احمد بن محمد مهدى، معراج السعادة، مؤسسة انتشارات هجرت، قم، ١٣٧٦ هـ. ش، الطبعة الرابعة.

- مواقع: نور ميگزين، قرآن جرنل، معارف قرآن، تبيان.